أقاصيص لغوية

قط وبناتها

الأستاذ عبد الحميد فاضل
« الدار البيضاء »

قبل كل شيء دعونا نتفاهم على العنوان، فلا بد أن القاريء يظن فيه خطأ مطبعيا ، لانه يجب ان يكون فى نظره « قط وبناته » او «قطة وبناتها» . لكن موضوعنا ليس خاصا بالقطط بل بفعل قط ، وتقديره : كلمة قط وبناتها ،على غرار « كان وأخواتها » .

وليس همنا سرد قصة (قط) وكيف توالدت بقدر ما هو سرد قصة « اللغة » وكيف نشأت ونمت فى احد قطاعاتها ، نسردها من خلال قصة قط وبناتها وحفيداتها .

سوف يستغرب القاريء ـ وعسى ان يكون استغرابه كبيرا ـ اذا قلنا له ان السبب الاساسي الخصب فى نمو اللغة هو خطأ البشر فى نطق الالفاظ اولا واستعمالهم لها فى غير معانيها ثانيا .. وسنوضح الآن هذه النظرية التى كنا نوهنا بها فى مناسبات لغوية سابقة .

ان المتفق عليه الآن لدى اللغويين المحدثين هو ان اللغة نشأت اولا من محاكاة الاصوات الطبيعية ثم توسع استعمالها حتى تكونت منها اللغة برمتها ، وهي النظرية التى قال بها بعض اللغويين العرب الاقدمين والتى ذكرها ابن جني لكن باستعمال تعبير محاكاة « الاصوات المسموعات » بدلا من التعبير الاوربي « الاصوات الطبيعية » ، وهو المصيب لان الاصوات التى حاكاها الانسان فتكونت منها اللغة ليست كلها من الاصوات الطبيعية بل ان بعضها من الاصوات الاصطناعية اي التى يحدثها الانسان ، ومنها بل اهمها طرا صوت القطع الذى نحن بصدده .

عندما تقطع غصنا او خشبة او عظما بضربة فأس او ساطور او سيف تسمع للقطع صوتا لا اظنك مستطيعا ان تحكيه بأحسن من لفظة (قط) مع سرعة النطق والتأكيد على الطاء . والاغلب ان اللفظة ليست عريقة جدا فى القدم فالظاهر انها من العصر النحاسي لاننا نستبعد ان يكون لدى اهل العصر الحجري اداة متينة من الصوان او نحوه تصلح للقطع على هذه الصورة .

والكلمة ما تزال موجودة فى الانكليزية بنفس صيغتها العربية تقريبا : (cut) لكنها لا تملك دقة اللفظة العربية فهي اشبه بالصورة الضبابية منسوخة على صورة حادة واضحة الملامح. وقد زادت ضبابية وابتعادا عن الاصل فى الفرنسية فى couteau) سكين ، وزادت ضبابية وبعدا عن هذه ايضا فى (coupe يقطع) .

لكن رجاءنا الى القاريء هو الا يتعجل بلوم الفرنسيين والانكليز وغيرهم من الامم التى تظهر آثار كلمتنا العربية (قط) هذه فى لغاتهم محرفة عن نطقها الاثيل بعد اجيال كثيرة وتقلب احداث متنوعة فى اقطار مختلفة ، فان هذا يسير جدا اذا قيس بما جرى على الكلمة من تحريف وتطوير فى العربية نفسها على السنة الاعربين انفسهم .

وتقول نظرية تكاد تكون مجمعا عليها ان الانسان الفرد فى تعلمه الكلام منذ الطفولة حين يبدأ بالتأتأة والبأبأة واللغلغة انما يكرر طفولة البشرية منذ بداية محاولتها التخاطب بالالفاظ . وكل من راقب

الاطفال فى تعلمهم الكلام قد لاحظ ولا شك ان الطفل من دابه أن يحرف الالفاظ بابدال حروفها او ادغامها. وقد كان من حسن حظ البشرية ان الاطفال لا يتفقون كلهم فى ابدال الحروف وتشويه الالفاظ فلكل منهم طريقته فى ذلك حتى الاخوة يختلفون فى الكلام فلا يفهم عن احدهم فى المرحلة الاولى من حياته اللغوية غير امه . فهكذا كان البشر اول امرهم اذا القيت اليهم كلمة نطقها كل منهم بطريقته فيتعلمها كل ولد من ابويه ثم هو يتعلم من لداته الصيغ التى تعلمها كل منهم من ابويه – وهكذا تكونت لدى الجيل الجديد صيغ كثيرة للكلمة الواحدة ، وهذه احدى طرق تكون المترادفات .

فلهذا السبب ما زال العرب يختلفون حتى اليوم فى نطق بعض الحروف . ولناخذ منها القاف فى كلمة (يقف) فبعض العرب المعاصرين ينطقها (يواف) ، وبعضهم (يوكف : yogaf) وبعضهم (يوجف) ، وبعضهم فى جنوبي العراق (يوجب : yochib) وفى الموصل ينطقونها (يقف) ، والموصل هي المكان الوحيد الذى ينطق اهله القاف مثل الفصحى كقاعدة عامة فيما يظهر ، حتى لقد صار مواطنوهم العراقيون الآخرون يتندرون على الموصلي بتسميته (مصلاوي قيقو) . ولو اجتمعت فئات تمثل مختلف هذه اللهجات فى صعيد واحد لشاعت بينهم جميع هذه الصيغ واصبحت مرادفات لصيغة (يقف) .

ولننظر الآن ما فعل الاعارب الاقدمون بكلمة قط ، فقد افتنوا فى تحريفها بابدال الحرف الاول او الثاني منها فنطقها بعضهم قت ، وبعضهم قث ، وبعضهم قد ، وقذ ، وقز ، قس ، قش ، قص ، قض.

ثم هم ابدلوا الحرف الاول من الالفاظ المولدة فظهرت الى الوجود صيغ : جت ، جث ، جد ، جذ ، جز ، جس ، جش ، حت ، حث ، حد ، حذ ، جز ، حس ، حش ، حض ، حظ ، حط .. خت ، خد ، خذ ، خز ، خش ، خص ، (دارجة ، خط ...

وهذه الالفاظ نسميها «اخوات قط» لانها مثلها تتكون من صوتين . ولكل من هذه الاخوات بنات تكونت باضافة صوت ثالث اليها . فمن بنات (قط) نذكر : قطب ، قطر ، قطع ، قطم ، قطل .

ومن بنات (قص) نذكر : قصب ، قصد ، قصر ، قصع ، قصف ، قصل ، قصم .

ومن بنات (جذ) نذكر : جذب ، جذر ، جذع، جذل ، جذم ... الى ءاخر ما هنالك . .

وليسترح خاطر القاريء فاني لا انتوي ان اسرد عليه مزيدا من بنات قط وحفيداتها ، فان مجرد سرد الالفاظ لا متعة فيه ولا زيادة معرفة لانها بسرعان ما تنسى، لكني شخصيا اردت ذات يوم امتاع نفسي بتدوين ما يعن لي من الالفاظ التى نشأت من قط وبناتها وحفيداتها وبنات حفيداتها – دون امعان فى التقصي – ثم عدت فأحصيتها فاذا بها تربو على (450) كلمة . ولو اني استقصيت ما لكل واحدة من هاته الكلمات الاربعمائة والخمسين من بنات واخوات وحفيدات لبلغ تعدادها الالوف . ويبدو لي ان كلمتنا البدائية (قط) هذه اخصب كلمة فى المعجم العربي كنه ، اي فى معاجم اللغات البشرية قاطبة .

ان الاصوات الطبيعية ، او بتعبير اصح الاصوات المسموعة على قول ابن جني – التى حاكاها البشر الاوائل قليلة نسبيا ، فالحروف العربية الثمانية والعشرون لو استعملت كلها فى تأليف الالفاظ الثنائية لبلغ عدد الالفاظ (784) اي (حاصل 28 × 28) .والواقع ان الالفاظ الثنائية فى العربية اقل من ذلك بكثير لان بعض الصيغ الممكن تأليفها بالمزاوجة لم يسمع فى العربية مثل : ذض ، ذظ ، سض ، زش ، رل ، لر ، غع ، غخ ... ومثل هذا ايضا تكرار الحروف : تت ، ثث ، خخ ، رر ..

فكيف اذن تألف من تلك الالفاظ القليلة هذا المعجم العربي الضخم الذى يضم نحو مئة الف كلمة مستقلة بالاضافة الى الاشتقاقات المتولدة منها ؟ انه تكون على الطريقة التى المعنا اليها والتى سنعرض لها بشيء من الايضاح ، وهي ان الافراد اخطأوا فى نطق الكلمات وبذلك تولدت المترادفات اول الامر ، كالالفاظ التى مرت بنا ومعظمها يعني القطع او ما يقاربه .

لكن المعجم ليس خزانة مترادفات وحسب وانما هو كنز معان ايضا ، فكيف تولدت المعاني الكثيرة من المعاني البدائية القليلة ؟ المعاني ايضا تكونت عن طريق الخطأ على الاكثر وعن طريق المجاز المقصود على الاقل . وصفوة القول أن الخطأ فى النطق سبب

تعدد الالفاظ للمعنى الواحد ، ثم صارت الالفاظ الزائدة تتوزع على المعاني التى لا الفاظ لها .

فالعادة عندما تكثر المترادفات لمعنى عام ان يتخصص بعضها فى انواع خاصة من ذلك المعنى العام . مثال ذلك : قطف ، قص ، قصم ، قصل ، جدع ، خضم ، قضم ... فكل هذه الالفاظ يعني القطع لكن كلا منها يعني نوعا خاصا من القطع ، كقطع الثمرة من شجرتها ، او قطع الثوب ، او الظهر – بفتح الظاء ، أو الشعير الاخضر يقصل لعلف الدواب ، او الانف ، او قرض الطعام اليابس بالاضراس ، او قطع القثاء مثلا بمقدم الاسنان ...

وليست هذه الالفاظ قاصرة على هذه المعاني وحدها وانما ذكرنا منها ما هو الاغلب فى استعمالها اليوم ، والا فهي فى المعجم تعني القطع بوجه عام ايضا .

ومن جملة انواع التخصص نذكر على سبيل المثال (جزل) التى كانت تعني القطع فى الاصل ثم صارت تعني (اعطي) كأنما قصدوا اقتطع له حصته من ماله ، وهو شبيه بقولهم « خضم له من ماله » أي اعطاه .. وما اكثر ما ولدوا معنى العطاء من الفاظ القطع . ثم صار قولهم « اجزل العطاء » يعني اوسعه واكثره ، ثم تخصصت كلمة (الجزيل) على عهدنا بالشكر فقالوا : الشكر الجزيل . وقلما يستعملها ناشئتنا فى غير هذا المعنى ، وما ابعده عن المعنى الاصلي .

فهذا مثال من تطور بعض المعاني وتخصصها . ولنأخذ مثالا آخر . لنتصور فريقا من العرب من الزراع – مع العلم بأن البدو ايضا يزرعون وقد يرحلون عن زرعهم ثم يعودون اليه فى موسم الحصاد – لنتصور فريقا من هؤلاء العرب الزراع يستعملون كلمة (حصد) بمعنى القطع اطلاقا ، ثم لنتصور فريقا آخر من العرب حل بينهم ممن يستعملون كلمة قطع نفسها ، ثم اختلط الفريقان واستعمل الخليط منهما كلتا الكلمتين . فمن السهل عندئذ ان نتصور ان الفريق الطاريء سوف يظن ان كلمة (حصد) خاصة بمعنى قطع الزرع فيخصصها بهذا المعنى ويستعمل الكلمة الاخرى (قطع) لمعنى القطع بوجه عام .

ومثالا ثالثا لنأخذ كلمة (خضد) ولننظر فى تطور معانيها . فقبل كل شيء لقد زال من صيغتها الاولية البسيطة معنى القطع وصار قولك « خضدت العود » يعني كسرته . ويعني القطع فى الصيغة المضعفة « خضدت الشيء » بتشديد الضاد : قطعته، بتشديد الطاء ايضا . وقالوا « خضدت » بفتح الضاد كذلك بمعنى اكلت شيئا رطبا فيه صلابة كالجزر ، و « خضدت الشجر » : قطعت شوكه . و « تخضدت الثمار » : تشدخت ، ومن هنا صار (الخضد) – زنة البلد – يعني الضمور فى الثمار لان هذا هو ما ينجم عن تخضدها .

فعلى هذين الغرارين – اللفظي والمعنوي تطورت الكلمات واختلفت معانيها . وان المرء لتدهشه كثرة الكلمات العربية التى ترجع فى رسمها الى (قط) ولاسيما منها تلك الكلمات التى لا يظهر انها تمت فى معانيها بأية صلة الى معنى القطع . فهل تصدق ان الفاظ الحضارة ، والعيش ، والخطيئة ، والقرض ، والرقم ، والقطار ، والخسران ، والبشرية .. كلها من اسرة لغوية واحدة وان اصل معانيها هو القطع ورس مبانيها الاول هو كلمة (قط) ، وانها كلها ليست الا فردات قليلات من الوف ؟

العيش :

قالت العرب العرباء منذ دهور سحيقة (قص) بمعنى (قط) كالذي المعنا اليه قبل ، ثم جاءت فئة منهم فقالت (قش) بنفس المعنى اولا ، وواضح من تتبع معانيها فى المعجم انها اختصت بعد ذلك بقطع العشب اليابس ، ومنها نشأت (القش) . ثم نطقها قوم بالعين فصارت (عش) ومن ذلك قولهم (عشش الكلأ) : يبس . ومن العش نشأ اسم العشب . ونطقها بعضهم بالحاء فصارت (حش) بمعنى قطع العشب ايضا ومنها (الحشيش) أي العشب اليابس ايضا، ولو لم يكن مقطوعا. وصار اسم الحشيش يطلقه المتأخرون على المادة النباتية المخدرة المشهورة .

ولما كانت بعض الطيور ولاسيما العصافير تبني اوكارها من العشب والقش فقد عبروا عن قيام الطائر ببناء وكره بقولهم « عشش الطائر » ، ثم سموا الوكر (العش) .

ويظن المحدثون ان (عش الزوجية) – هو التعبير الجميل – من ابداعهم ، لكن التأمل اللغوي ينبيء أن الاقدمين قد سبقوا الى هذه الاستعارة واكثروا من استعمالها حتى خرجت من باب المجاز فاصبحت

بمثابة الحقيقة ـ فيما نعتقد ـ فلذلك طوروا (عش) فاشتقوا منها فعل (عاش) .. وبذلك انتقل معنى العش والتعشيش الى العيش .

واذا اصر القاريء على ان يستبعد هذا التخريج فاننا ذاكرون له ان كلمة (عش) لها فى المعجم العربي معان اخرى ابعد كثيرا عن معناها الاصلي المفقود الذى هو (حش) . ولا حاجة بنا الى الاطالة هنا بذكر تطورات تلك المعاني لكننا نذكر ان (العيش) ايضا يختلف معناه فى بعض الاستعمالات عن معناه الاصلي الذى هو الحياة . فالمصريون يعنون بالعيش فى لفتهم الدارجة (الخبز) ، حتى ان بعض الضعاف من كتابهم يستعملونها بمعنى الخبز فى كتاباتهم الفصحى . اما كبار الكتاب فيتحاشون ذلك ، مع انه فصيح . اعني ان استعمال العيش بمعنى الخبز ليس من صنع المصريين بل من صنع العرب الاوائل . ولا غرابة فى تسمية الخبز عيشا فهو مادة العيش ، وقديما قال البابليون « ان الخبز مادة الحياة » كما ورد فى ملحمة قلقحيش .

واما فى الفارسية فقد تطورت الكلمة على وتيرة اخرى فلفظة (عيش) العربية تعني عندهم اللهو ، لهذا كثيرا ما يوردون الكلمة مقرونة بكلمة (طرب) فيقولون «عيش وطرب» . وقد اشتقوا منها (عياش) بمعنى المستهتر الخليع ، و(عياشي) بمعنى الاستهتار والخلاعة. وواضح ان الذين طوروا الكلمة فى فارس على هذا النحو هم من طبقة الباذخين الذين شعارهم ان « الحياة لعب ولهو » .

وبالنظر لكثرة اخوات قط وبناتها وشدة الشبه بينها يصعب معرفة خطة السير الذى سلكته الكلمة ابتداء من قط حتى عاش ، لانه بالامكان تسلسلها على اكثر من وجه واحد . فيمكن مثلا ان يكون مسارها هكذا : قط ـ قص ـ قش ـ خش ـ حش ـ عش ـ عاش .

ويمكن كذلك ان يكون هكذا : قط ـ خط ـ خد ـ خز ـ خص ـ خش ـ حش ـ عش ـ عاش .

ويمكن ان يكون على اي نحو آخر يؤثره القاريء البصير .

الرقم :

ان تطور قط واخواتها لم يكن دائما بطريقة الكسع أي اضافة حرف ثالث الى آخرها فقط كالذي رأيناه حتى الآن ، بل باضافة حرف ثالث الى اولها احيانا ، وهو ما يسمى فى اللغة بالتصدير .. ومثال ذلك : نقط ورقط ونقص ..

ومن اخطاء النطق انهم حرفوا (رقط) فصارت رقش ورقم . ويلاحظ ان (رقط) تشبه فى معناها كلا من نقط ورقم وقطر ، ومن ذلك قالوا (الارقم) بمعنى الثعبان الذي فيه سواد وبياض او اخبث الحيات ، والاصل على كل حال هو الارقط اي ذو الارقام اي النقط ، ومن ذلك قالوا « رقم الكتاب » بمعنى اعجمه بوضع النقط . ومثل ذلك الحية (الرقطاء) أي المنقطة ، وكذلك (الرقشاء) .

اما (الرقم) وهو مقصودنا هنا ، الذى كان يعني النقطة اول الامر والذى صار بعد ذلك يعني وضع النقط على الكتابة فقد صار بعد ذلك يعني الكتابة نفسها .

ومن معنى وضع النقط على الحروف تطور (الرقم) حتى صار يعني العلامات التى ترسم دلالة على الاعداد من الواحد فصاعدا ، وجمعه (الارقام) . ومن ثم صار المحدثون يقولون «الرسالة المرقمة كذا» .

ونذكر استطرادا ان (النمرة) ـ زنة القدرة ـ أيضا تعني النكتة من لون مختلف اي النقطة ، ومن ذلك كانت تسمية النمر . والطريف ان العرب اختاروا (الرقم) أي النقطة لمعنى العدد المكتوب بينما اختار الآريون (النمرة) أي النقطة ايضا لهذا المعنى :
numerus فى اللاتينية ، و numero فى الايطالية ، و number فى الانكليزية ، و nombre فى الفرنسية ...

وترسيس (الرقم) يمكن هكذا : قط ـ نقط ـ رقط ـ رقم .

ويمكن ان يكون هكذا ايضا : قط ـ قطر ـ رقط ـ رقم .

القرض :

وبعض الالفاظ الثنائية نشأت منها صيغ ثلاثية باضافة الحرف الثالث فى وسطها اي بين حرفيها ، وهو ما يسمى عند اللغويين بالحشو . ومن ذلك قط وقش وحض .. صارت قرط وقرش وحرض .

ومعنى (قرط) هو القطع ايضا، ثم نطقـــها بعضهم (قرض) بمعناها ، ثم تفرعت منها معـــان اخرن احدها « اقرضته مالا » بمعنى اسلفته ، وكأنما قصدوا اقطعته من مالك اول الامر ثم اختصت الكلمة بمعنى العطية الموقتة من المال بقصد اعادته الى المقرض

وترسيسها : قط ــ قرط ــ قرض .

الخســـــران :

كذلك اخطأوا فى نطق (قص) فقالوا (خص) بمعنى القطع اول الامر فيما نعتقد ثم صار (الاختصاص) بالشيء يعني التفرد به سببه قولهم أقطعه السلطـان أرضا بمعنى اعطاه اياها فصارت (خاصة) به . ومنها (الخصية) ــ ولا حياء فى العلم . وتظهر الكلمة فى اللاتينية بصيغة castro يخصي ، ومن هذه فى الإنكليزية castrate بمعناها .

وبالرغم من ان (خص) صارت تعني الاقتصـــار على شيء ما فان معناها الاصلي اي القطع انتقل الى بنتها (خس) التى صارت تعني نقص وزنا او قدرا ، ثم صارت تعني على المجاز : رذل وهـــان . وما زال المصريون يقولون « خس الشخص » بمعنى نقـص وزنه وهزل . ومن (خس) نشأت كلـمة : خســر خسارة وخسرانا .

وترسيسها : قط ــ قص ــ خص ــ خس ــ خسر .

الخطيـئـــة :

قالوا : قط ، ثم قد ، ثم خد وخدد ، ومـن ذلك الاخدود الشق فى الارض او الحفرة المستطيلة. ومن (خد) نشأ فعل (خط) بنفس المعنى اولا ثـم تعددت المعاني وتوالد بعضها من بعض على العادة . وقالوا « خطت الريح الرمل » اي جعلت فيه طرائق مستطيلة متموجة . وبالمعنى الحضاري صار (الخط) يعني رسم الكتابة ايضا . ومنـه (التخطيـط) اي رسم (الخطـة) .

ومن (خط) نشأت صيغة (خطـا يخطـو) اي مشى يمشي . ومـن (الخطـو) نشـأ (الخطـأ) ــ بالهمزة ــ بمعنى الغلط ، وشبيه بذلـك قولهـم « عدا عليه » بمعنى اعتـدى وتجـاوز ، اي انهـم استولدوا معنى الخطأ من الخطو مثلما استولـدوا معنى العدوان من العدو اي الركض . ومن (الخطأ) نشأت (الخطيئة) بمعنى الذنب والمعصية .

وترسيسها هكذا : قط ــ خط ــ خطا ــ خطوا ــ خطيء ، خطأ ، خطيئة .

الـقـطـــار :

كلمة عصرية ، بل بدوية فى الحقيقـة ، تعنـى اليوم مركوبا حضاريا ضخما . وخلاصة قصتهـا ان (قط) انشأوا منها (قطر) ، لان قطرة الماء تنفضل اي تنقطع من الوعاء الذى ترشـح فيه وتتـدلى فى اسفله ، وتسقط . ومن معنى تتابع القطرات ما زلنا نقول « تقاطر المدعوون » . ومن هذا المعنـى ايضـا اطلق الاوائل البداة اسم (القطار) على قافلة الابـل التى تسير فيها الجمال متتابـعة كأنهـا القطـرات ــ الكبيرة ــ وكل منها (مقطور) الى الجمـل الـذى يتقدمه ، فى سلسلة طويلة ، ومن ذلك جاء قولهم « قطرت البعير الى البعير » . وعند اتصـال معنـى القطر بالبعير اي عندما صار المعنى بعيريا صار يطلق على بعض شؤون البعير ليست لها اية علاقة بمعنـى القطع او القطر . ومن ذلك قولهم « قطر البعيـر » بمعنى طلاه بالقطران ، اي ان لفظ (القطران) ايضا وهو الزفت مشتق من القطرة .

وفى عهد بداية الترجمة عن اللغات الاوربيـة صـادف احـد المترجميـن المصريـيـن تعبيـــر (chemin de fer) فى الفرنسية اي طريق الحديد فما كان منه الا ان ترجمه (سكة الحديد) . وانما افترضنا ان المترجم كان مصريا لان المصريين هم الذين ما يزالون يسمون الطريق (سكة) وهـي فصيحـة ومليحة . لكن الكلمة تصدرت لمترجم آخر ــ مصري أو غير مصري ــ ربما بصيغـة train الانكليزيـة والفرنسية معا ، فبحث لها عن كلمة عربيـة مناسبـة فقفز ذهنه قفزة بارعة الى (قطار الابل) فكان منه ان سمى هذه المطية العصرية الاعجوبة ــ يومئذ ــ (قطارا) ، ومنه صاغوا القاطرة والمقطورة .

ترسيسها اذن هكـذا : قط ــ قطر ، قطرة ، قطـــار .

وربما هكذا : قط ــ رقط ــ قطر ..

الحضـــــارة :

على جلالة قدرها اجتازت فى تطورهـا بعـض المراحل المأسوية المحزنة . واليكم البيان : فمن (قط) نشأ كما قلنا صيغ قطم وقضم وخذم وخضم وخضد .. ونضيف اليها الآن : خضـر .

اما خضد فقد قلنا ان اصل معناها القطع وانه بقي من ذلك قولهم « خضد الشجر » : قطع شوكه ، و (خضد) بالتشديد : قطع ، بالتشديد ايضا .

واما (خضر) فقد كانت تعني القطع ايضا اول الامر ثم قالوا من مادتها « اختضر العشب » بمعنى قصه وهو اخضر . ومن هذا المعنى نشـأت كلمـة (خضل) بمعنى ندي وابتـل لان ذلك شأن العشب وهو اخضر . ومن هذا انبثق معنى (الخضـرة) اللون المعروف المتكون من مزج الصفرة بالزرقة .

ومن (خضر) بمعناها اللوني نشأ فعل (خضب) بمعنى الخضرة اولا بدليـل قولهـم « اخضـوضب الشجر » بمعنى اخضر واخضوضر ، ثم صار قولك « خضبت الشيء » يعني لونته بالخضرة او اي لون آخر، وصار (الخضاب) يطلق على كل ما يخضب به ومن ذلك مثلا خضاب الشعر واللحية بالحنـاء او غيرهـا .

ومن تعبير « اختضر العشب » بمعنى قصـه وهو اخضر استعاروا قولهم على المجاز « اختضرته المنية » اي مات شابا ، كالنبت فى ابان خضرته . واذا حذفوا الفاعل اوردوا الفعل مبنيـا للمجهـول فقالوا (اختضر) . ثم كان من بعضهم ان نطقوهـا بالحاء المهملة فقالوا (احتضر يحتضر فهو محتضر) بصيغة المجهولية ايضا . لكن هذه الصيغة الحائيـة أصابها تطور فى المبنى وتطوران فى المعنى . اما فى المبنى فلم يعودوا يقولون اليوم احتضرته المنيـة ، بل حضرته المنية او الوفاة . واما فى المعنـى فأول التطورين هو أن (الاحتضار) لم يعد يعني الوفاة بل قرب الوفاة ، وثانيهما هو ان (الاحتضار) ليس خاصا بالشباب بل عاما يشمل كل الاعمار .

ولكثرة ما قالوا « حضرته المنيـة او حضـره الموت » صارت الاجيال التالية تظن المقصود ان الموت دنا منه او جاءه ، ومن ذلك صارت صيغة (الحاضر) تعني القريب اي الموجود وصارت ضد (البادي) النائي البائن . ومن هنا اطلق ابن المدينة اسم (البدو) على البعيدين عنه من الناس فى الصحراء كما اطلق اسم (الحضر) على الادنين المقيمين معه فى المدينـة . ومن (الحضر) بمعناها هذا القديم صيغت (الحضارة) بمعناها هذا الحديث .

قـط ـ قطـم ـ قضم ـ خضـم ـ خضـر ـ حضـر ، حضـارة .

البـشـريـــة :

ان فعل (قشر) يمكن ان يكون أثله قرش او قش . وايا ما كانت الحال فان بعضهم نطقوه بشر يبشر ، بنفس المعنى اي ازالة القشـر او الجلـد . وصارت (البشرة) ـ زنة البقرة ـ تطلق اخيرا على جلد الانسان خاصة مع انها فى الاصل كانت تعنـي جلد الحيوان الذى يقشرونه اي يسلخونه . وجمع البشرة هو (البشر) ـ زنة القمر ـ وقد تخصصت هذه الصفة الاخيرة بجنس بني آدم ، ومنه صيغت البشرية بمعناها الخطير . أفليس طريفا اشتقـاق اسم البشرية من سلخ جلد الحيوان ؟

قـط ـ قـص ـ قـش ـ قشـر ـ بشـر ـ البشر ، البشرية .

— * —

واضح أذن اننا مدينون بلفتنا العظيمة لتلك الاخطاء التي شوهت النطق فتكونت منها الالفاظ ، وحرفت المعاني لسوء الفهم غالبا او بقصد الاستعارة والمجاز احيانا فتكاثرت المعاني وتفرع بعضها من بعض حتى ترامت ابعادها . ومن هذا وهذا ظهر الى الوجـود هذا المعجم العربي الفذ، الذى لا يمثل مع عظمته سوى جزء يسير من اللغة العربية التى اندثر اكثرها .

وانه لجدير بالتساؤل كيف ياتـرى كان فى مستطاع البشر تكوين لغتهم لولا هذه الاخطاء، اي لو انهم نطقوا الالفاظ البدائية القليلة كمـا هي دون تشويه لفظ او تحريف معنى ؟ اظننا لولا هاته الاغلاط الخلاقة لكنا الآن ما نزال فى المراحل اللغوية الاولى ولكانت حضارتنا من ثم فى أحد اطوارها البدائية .